الاستراتيجية الاسرائيلية والمنطق الصهيوني

كانت السياسة الاسرائيلية أكثر سياسات المنطقة تأثرا بحرب تشرين الاول ، الا انها كانت اقلها تبدلا نتيجة لها . فقد انعكست الحرب على الاستراتيجية الاسرائيلية فزادتها تحجرا ، وعلى العقلية الصهيونية فزادتها تطرفا . فبعد التمثيلية الطويلة التي رافقت وصول رابين ، ذي الاتجاه الامريكي ، الى الحكم ، اعتقد الكثيرون بان اسرائيل مقبلة على تغيرات جذرية في سياستها . وثبت هذا الاعتقاد المظاهر الخادعة لتبدل الموقف الامريكي . الا ان هذا التفاؤل لم يكن في محله . فقد اتبعت اسرائيل الخطوات ذاتها التي كانت ستتبعها أية حكومة مهما كانت متطرفة . وكانت خطوات العمل متشابهة مع خطوات الحكومات السابقة ومنسجمة معها. فلم يكد حبر اتفاقية الفصل بين القوات يجف حتى شنت الطائرات الاسرائيلية سلسلة من الهجمات الارهابية على اضعف حلقة في المعسكر العربي (مخيمات اللاجئين في لبنان) فاعادت الى الذاكرة الهجمات الاسرائيلية على القرى العربية في قبية ونحالين وقلقيلية في الخمسينات . وكان من الخطأ الاعتقاد بان سياسة اسرائيل الماضية هي نتيجة تصورات شخصية بحتة للقيادة الاسرائيلية السابقة . صحيح ان التقييمات الشخصية مرتبطة الى حد ما بالقرارات المتخذة . الا أن العامل المؤثر الاكبر في تحديد اية سياسة يبقى المحصلة الناتجة عن اماني اي بلد وطموحاته او اطماعه ، وامكانية تحقيقها على ضوء امكانات الدول ، مقارنة بامكانيات الخصم ، مع أخذ الوضع الدولي ، ووضع البلد الداخلي والنفسي بعين الاعتبار . وعناصر هذه السياسة لم تتغير وان كانت قد اهتزت نتيجة للحرب ، الا ان اهتزازها هذا زاد تشبث الاسرائيليين بها . وهكذا كان لتبدل الاشخاص اثر بسيط على تبدل السياسة الاسرائيلية . والحقيقة ان من الصعب حدوث اي تغيير، ان لم تتغير القنوات السياسية الاصلية التي حفرتها الاماني ، او الاطماع ، والقدرات والامكانات .

فهل طرأ أي تبدل حقيقي على مجرى السياسة الاسرائيلية ؟ تشمل الاجابة على هذا السؤال عدة نواح عقائدية ، واستراتيجية. وقبل الخوض في الحديث عن هذه النواحي، لا بد من الاشارة الى ان الحرب اثرت على ميزان القوى ، او هي اعطت العرب ثقلا اخر في منطقة الشرق الاوسط وفي العالم . وهذا الثقل الجديد هو الذي ادى الى التراجع الاسرائيلي عن بعض مغانم حرب حزيران ١٩٦٧ . وهو الذي تسعى اسرائيل والسياسة الامريكية الى موازنته . وذلك واضح من تصريحات وزير الدفاع الامريكي الذي قال « ان الولايات المتحدة ستواصل المحافظة على ميزان القوى في الشرق الاوسط »(١). وغني عن القول أن ميزان القوى لا يشمل فقط القوة العسكرية . ومن جهة اخرى فان لدى الاسرائيليين « قناعة مطلقة بان الشيء الوحيد الذي يحول بينهم وبين دمار دولتهم هو الجيش »(٢). اي القوة المادية القادرة على صد القوة العربية والمحافظة على غنائم اسرائيل . ولذلك لا يمكنهم ان يحتملوا اي اختلال في هذا الميزان. وكان من الطبيعي ازاء هذا الوضع ان ترتد اسرائيل الى الاصول التي بنيت عليها . وان تزداد السياسة الاسرائيلية تصلبا . لان اي تهاون معناه الدمار . وكان من الطبيعي ايضا ان ينعكس كل ذلك على طرق العمل الاسرائيلية ، اولا بتأكيد الفكرة الصهيونية ، وحق اليهود في وطن قومي لهم ، والتشبث بمنطق الغزاة . ففي لقاء مع صحافيين امريكيين تحدث وزير الدفاع الاسرائيلي شمعون بيرس عن « الجانب الاخلاقي » من القضية الفلسطينية قال « **صحيح ان العديد من السكان العرب غادروا هذه المنطقة ، الا أنه ليس بالامكان المبادرة بالحرب، ثم تطلب بعد أن تنهزم التعويض من المنتصر** » . ثم اضاف « **ان الجانب الاخلاقي من هذه القضية هو هل يحق للشعب اليهودي ان يكون**